حيدر رشيد

مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الإنتداب

العمالة والواقع الديمغرافي والاقتصادي في البدايات الأولى

تعتبر(*) بداية القرن العشرين بمثابة المحور الرئيسي في تاريخ الشعب العربي الفلسطيني، الذي يمكن الاستناد عليه في تتبع البدايات الأولى لنشوء الحركة العمالية الفلسطينية. وهذه الفترة بالذات هي الفترة التي تبلورت فيها مقدمات تنفيذ المشروع الاستيطاني الصهيوني لجنوب سوريا (فلسطين) بدفع من الأحداث المتلاحقة، التي تمت على الساحة الفلسطينية بعد ذلك(**)، والتأثيرات التي أحدثتها هذه الأحداث على الواقع الديمغرافي والطبقي لسكان هذه المنطقة، وعلى التطور في حجم القوى العاملة وطبيعتها، وعلى هيكل الاقتصاد الفلسطيني وبنيته وعناصره الرئيسية بشكل عام.

وتشير الخريطة الطبقية لفلسطين في تلك الفترة الى انقسام الشعب العربي الى أربع شرائح رئيسية، تختلف في حجمها وتأثيرها على الحياة الاقتصادية والسياسية والعامة. وهذه الشرائح هي: أ) الاقطاعيون وأسياد الأرض؛ ب) برجوازيّو المدن؛ جـ) البروليتاريا الصناعية؛ د) الفلاحون. وعند استعراض تأثيرات كل شريحة من هذه الشرائح ومدى اتساع قاعدتها في المجتمع الفلسطيني، نلاحظ أن غالبية السكان هم من الفلاحين المعدمين، الذين لا يملكون أي تأثير يذكر على الواقع الاقتصادي والسياسي للبلاد. ففي نهاية العهد العثماني، كان عدد سكان فلسطين يقدّر بنحو ٧٠٠ ألف نسمة. كان ٧٠٪ منهم يعيشون في الريف ويعملون في الزراعة(١). في حين كان الاقطاعيون والأفندية وأسياد الأرض يتمتعون بالتأثير الأساسي على الواقع الاقتصادي والسياسي، في الوقت الذي كانوا لا يشكلون فيه سوى نسبة ضئيلة من السكان. وقد احتكرت، في ظل النظام العثماني الذي حكم البلاد في تلك الأيام، حفنة من عائلات فلسطين ملكية مساحات واسعة جدا من الأراضي واستغلت الفلاحين المتخلفين. ومن الناحية السياسية، كانت هذه العائلات متحالفة مع الطبقة العثمانية الحاكمة عبر علاقة من المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة(٢).

---

* هذه الدراسة هي فصل من بحث شامل يتم إعداده بعنوان: «الحركة العمالية الأردنية ومقدمات وضعها الراهن».

** اتفاقية سايكس ـ بيكو، الحرب العالمية الأولى، الانتداب والاحتلال الانكليزيين